الدكتورة / هايدي هادسيل

سوف أتحدّث بإيجاز عن ثلاث طرق يمكن للقادة من خلالها تشجيع المواطنة والتعايش من منظور مسيحي متأثر بمجالي الأكاديمي ألا وهو الأخلاق المسيحية، وبسنوات عديدة كرئيسة لمعهد لديه برنامج كبير يدرّس الإسلام والعلاقات المسيحية الإسلامية، ولديه هيئة طلابية تبلغ نسبة المسلمين فيها 40 في المائة. لقد جمعتُ أفكاري ضمن ثلاثة أجزاء ألا وهي الرؤية، والقيم والفضائل، وبناء الجسور.

الرؤية

"بِلاَ رُؤْيَا يَجْمَحُ الشَّعْبُ". سفر الأمثال 29:18

ينظر المسيحيون إلى حياة الإنسان في هذا العالم في جزء منه كتهيئة للقادم، ولكن الحياة هي أيضا هدية من الله لنستمتع بها ونحتضنها، ونحسنّها متى وأينما كان ذلك ضروريا. هذا يعني أن المسيحيين يفهمون حياة الإنسان في ضوء رؤية الله للإنسانية والخلق كافة والاستجابة لها. ولأسباب كثيرة، كثيرا ما لا نعيش الحياة وفقا لرؤية الله، وجزء من مهمتنا كمسيحيين أن نرى ونستوعب المسافة بين الحياة التي غالبا ما نعيشها والحياة كما ينبغي أن نعيشها مثلما أرادها الله. نحن مدفوعون إلى الأمام، مضطرون إلى المضي قدما من جيل إلى جيل، بدافع من وعينا بأن جزءا من رسالتنا يتمثل في المساعدة على تحقيق مختلف جوانب رؤية الله في اكتمال الحياة للبشرية جمعاء والخلق كافة. وهذا يعني أنه لا يمكن للمسيحيين أن يتخلوا عن رؤية ما يمكن أن يكون وينبغي أن يكون، وذلك من أجل العيش في العالم كما مُنحنا إياه.

وُصفت وفُهمت رؤية الله لما ينبغي أن يكون في عالمنا الاجتماعي البشري بطرق عدة. وتشمل الطبيعة الأخلاقية للرؤية إحساسا مشتركا بكرامة كل كائن وعلاقات عادلة داخل الطوائف وبين الطوائف والشعوب والاعتراف بالقيمة الجوهرية لكل إنسان بحيث يُنظر إلى جميع البشر كغايات في حد ذاتهم، خلقهم الله، وليس كوسيلة لتحقيق غاية. الطبيعة أيضاً تمتلك قيمة جوهرية وحمايتها من جشعنا البشري وإهمالنا جزء من رسالتنا الإنسانية.

دور القائد فيما يتعلق برؤية الله لكمال الحياة يتمثّل في وضع الرؤية وإبقائها أمام الناس ليروا ويفهموا الرؤية ودورَهُم كمشاركين في تحقيقها. القائد يذكّر الناس برؤية الله ويدعوهم إلى العودة إلى رؤية الله ويحافظ على وضوح هذه الرؤية أمامهم ويريهم الطريق نحو إخلاص خيارات المؤسسات والناس للرؤية التي يضعها الله أمامنا. ومن خلال رؤية الله لكيف ينبغي أن نكون وكيف ينبغي أن تكون علاقتنا مع الآخرين ومع الخلق كافة، يفهم الناس معنى مهام المواطنة والحياة نفسها والغرض منهما. ووفقا لفهم رؤية الله، فإن المهام المختلفة المتعلقة ببناء علاقات تعايش وصداقة بين المجتمعات هي المهام التي تكتسي أكثر أهمية في حد ذاتها، ولأنها تساهم في تحقيق رؤية الله لكمال الحياة للبشرية جمعاء والخلق كافة.

القيم والفضائل

القادة الدينيون هم مصادر هامة للغاية للتوجيه نحو القيم والفضائل التي تساعد في تكوين البشر وتساعد على توجيه مشاركتنا في المجتمعات البشرية وبناء العلاقات بين المجتمعات البشرية.

القادة يخدمون الآخرين من خلال مساعدتهم جزئيا على ترجمة محتوى الإيمان إلى عمل أخلاقي يهتدي بالقيم الدينية. هذه الترجمة من الإيمان إلى القيم التي توجه الحياة في ظروف ملموسة ليست دائما سهلة والمسيحيون لا يتفقون دائما على معنى العيش في ضوء الإيمان في أوقات وظروف ملموسة. ففي الواقع، المناقشات القوية هي القاعدة. وبصفة عامة، التقاليد المسيحية لديها منظور إيجابي بشأن دور المؤسسات والسلطات الحاكمة المتمثّل في إعطاء الحياة الاجتماعية والاقتصادية للإنسان نظاماً واستمراريةً ولمفهوم المواطنة معنىً. وبالتالي، يعتبر النظام في المجتمع والسلطة المسؤولة عموما أفضل بكثير من الفوضى. وبالنسبة لبعض التقاليد المسيحية، فإن النظام مهم للغاية لدرجة أن واجب المواطن المسيحي هو طاعة السلطات الحاكمة بغض النظر عن الطرق التي قد يسيئون من خلالها استخدام هذه السلطة. أما بالنسبة لتقاليد مسيحية أخرى، فإن واجب المواطن المسيحي والقادة المسيحيين هو طاعة السلطة الحاكمة ما دامت هذه السلطة لا تطلب الطاعة بطرق تتعارض مع التعاليم الأخلاقية المسيحية الأساسية. أي أن واجب المواطن المسيحي انتقل من طاعة السلطة إلى عصيان القوانين التي لا يسمح ضمير المسيحيين بطاعتها، أو عندما يكون ذلك ممكنا، المشاركة في الجهود الرامية إلى تغيير تلك القوانين.

في التقاليد الإصلاحية، وهي التقاليد التي أنحدر منها، وأيضا في العديد من التقاليد المسيحية، نذكر بطرق مختلفة ونتعلم من لحظات في تاريخ مقاومة بعض قادتنا الذين وقفوا ضد الممارسات التي وصفوها بأنها ممارسات لا يمكن للمسيحيين الانخراط فيها بضمير حي. نذكر أيضا أولئك الذين أسهموا إسهاما كبيرا في المجتمعات المدنية التي ينتمون إليها من خلال إيمانهم الذي تربوا عليه.

القادة الدينيون لا يساعدون فقط في الترجمة من الإيمان إلى العمل، وهي عملية صعبة ومعقدة في كثير من الأحيان، والمساعدة على جعل المبادئ الأخلاقية المجردة ملموسة حين تُطبّق في الحياة، بل هم أيضاً نماذج أخلاقية لشعوبهم. جميع الأديان لديها فضائل أخلاقية أساسية يُتوقع من قادتها أن يجسدوها ويكونوا أنفسهم أمثلة جيدة لكي يعلموا الآخرين ممارسة هذه الفضائل الأخلاقية. اليسوع هو بالطبع المثل الأعلى للمسيحيين في القيادة الأخلاقية من خلال تعاليمه، ولكن أيضا وهو الأمر الأهم، من خلال شخصيته والطرق التي يجسد بها الفضائل الأخلاقية عند تفاعله مع من حوله ومواجهته العديد من التحديات والإغراءات الشديدة. وبهذه الطريقة، فإن اليسوع، مثله مثل أي قائد مثالي، يعلّم من خلال تصرفاته، وأيضاً وبنفس القدر من الأهمية، يعلّم من خلال شخصيته التي لها علاقة مباشرة بالفضائل الأخلاقية التي يجسدها.

يمكن للمرء أن يضع قائمة العديد من الفضائل التي يحبّها المسيحيون، غير أن التقاليد المسيحية تعلّمنا أن أعظم الفضائل هي الإيمان والأمل والمحبة. وبينما ينبغي على كل مسيحي ممارسة هذه الفضائل، هناك أيضاً بالتأكيد فضائل ذات أهمية خاصة بالنسبة للقادة الدينيين الذين عليهم أن يجسدوها باعتبارها جوهر قيادتهم – وهي أن يكونوا مخلصين في كل ما يفعلونه ويفكرون فيه ويعلمونه، وأن يُظهروا الأمل الذي يأتي مباشرة من اليقين والثقة في سيادة الله، حتى عندما لا تبدو ظروف الحياة مفعمة بالأمل، وأن يُبدوا المحبة لله من خلال محبة البشرية بشكل عام وبخاصة أولئك الذين يتّبعونهم، وعلى وجه الخصوص ووفقاً للتعاليم المسيحية، محبة المستضعفين فيما بيننا.

من خلال تجسيد هذه الفضائل وممارستها وتعليم قيم الإيمان المسيحي، يساعد القادة أتباعهم، ليس فقط في أن يكونوا مسيحيين مخلصين ولكن في أن يأخذوا على محمل الجد التزامات المواطنة وامتيازاتها، لأنه من خلال خدمة الآخرين نتمكن من العيش أقرب للحياة التي أراد الله لنا أن نعيشها. ومن خلال محبة الآخر، يتخطى المرء الحدود التي تفرّق المجتمعات البشرية ويُنشئ علاقات من الاحترام والصداقة المتبادلة.

بناء الجسور

ورد في القرآن ببلاغة في السورة 49، الآية 13: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا. "

ونقرأ أيضاً في الكتاب المقدس المسيحي، من خلال أعمال اليسوع وتعاليمه الملموسة والعديدة، أنه يشجع أتباعه على الانفتاح على غير مجتمعاتهم، بعيداً عن جميع أنواع التقسيمات البشرية التي كانت سائدة في ذلك الوقت، وذلك من أجل بناء علاقات من التبادل والاحترام المتبادل مع الطرف الآخر الموجود وراء التقسيمات والحدود، سواء بسبب القبيلة أو الحالة الاجتماعية أو المرض أو الدين أو الانقسامات السياسية أو الجنس. وهذا الإصرار على تخطي الحدود بين المجتمعات البشرية وداخلها هو أحد مواضيع اليسوع الأساسية، ويعود إليها مرارا وتكرارا. وكما أظهر اليسوع، فإن القدرة على قيادة مجتمع مؤمن لا تكفي لتكون قيادة مخلصة. يجب أن يكون القائد أيضاً قادرا على النظر إلى ما هو أبعد من الحواجز والحدود والتقسيمات بين المجتمعات وداخلها، وأن ينظر للإنسانية والكرامة والأخلاق المشتركة مع من هم خارج الطائفة.

وعبور الحدود هذا والتقرب من الآخر هو بالتأكيد إحدى أصعب مهام القيادة الدينية. وغالباً ما يكون من ينتمي لطائفة ما حذرا من أولئك الذين ينتمون لطوائف أخرى، ويشعرون بالراحة أكثر في البقاء داخل طوائفهم. وفي كثير من الأحيان، يرى الناس الفرق كشيء مخيف وليس كشيء يمكن التمتع به أو التعلم منه. وعندما يشعر الناس بعدم الأمان، يرتاحون لرؤية الأسوار والجدران العالية وليسوا حريصين على الأبواب أو النوافذ. تبحث الطوائف وتستجيب للقادة الذين يعززون إحساسهم بانتمائهم للمجموعة، وغالبا ما لا يرغب الناس في أن يضعهم قادتهم أمام العلاقات المتبادلة والمحترمة مع أشخاص خارج مجموعتهم أو طائفتهم أو منطقة راحتهم.

ومع ذلك فإن هذه القدرة على تخطي الحدود، بما في ذلك على وجه الخصوص حدود الطوائف الدينية، كانت بالتأكيد واحدة من أهم سمات القيادة في تاريخ مجتمعاتنا ولا تزال كذلك حتى اليوم. ومن دون القدرة على رؤية القواسم المشتركة في الطرف الآخر وتخطي الحدود لبناء علاقة مع الآخر، لا يمكن للمرء أن يقيم علاقات تواصل وتعايش سلمية مع أشخاص من طوائف مختلفة.

غالبا ما يخشى الناس في الطوائف الدينية من تخطي الحدود ومن أن ربط علاقات مع أشخاص من طوائف دينية أخرى سيغيّر إيمانهم أو يضعفه بطريقة أو بأخرى. وتقع على عاتق القادة الدينيين، الذين تعامل كثير منهم مع قادة آخرين من طوائف أخرى، مسؤولية مساعدة أتباعهم في إدراك أن عبور الحدود بطرق مناسبة من أجل الصداقة والتعاون مع أشخاص من طوائف دينية أخرى لا يعني تغيير إيمان الفرد أو إضعافه، بل يعني أن الفرد يعيش إيمانه وصدقه وإخلاصه لإيمانه بالطرق التي يريدها الله.

توجد أسفل الشارع الذي أعيش فيه كنيسة أبرشانيونية كبيرة. عند المرور أمام هذه الكنيسة بالسيارة أو سيراً على الأقدام، يمكن رؤية لافتة كبيرة أمام الكنيسة كُتب عليها: "نحب جيراننا المسلمين ونرحب بهم ونقف معهم". توجد مثل هذه اللافتات أمام العديد من

الكنائس في الولايات المتحدة اليوم. هذه اللافتات هي احتجاج على سياسات الهجرة الجديدة للحكومة الأمريكية. وهي أيضا مؤشر هام يدل على أن قادة هذه الكنائس قد بذلوا ويبذلون قصارى جهدهم لمساعدة أتباعهم على إدراك أن التواصل مع المسلمين أو غيرهم لا يشكل تهديدا لإيمانهم المسيحي، وإنما هو جزء لا يتجزأ منه. إنهم لا يتواصلون رغم إيمانهم المسيحي بل بفضله.

أنا رئيسة معهد هارتفورد، وهو معهد عال رائد في العلاقات الإسلامية المسيحية لأكثر من 100 سنة. مع ذلك وإلى يومنا هذا، لا زلت أنا وأعضاء هيئة التدريس والطلاب، 40 في المائة منهم مسلمون، نقضي وقتا طويلا ونبذل جهدا كبيرا في مساعدة عامة الناس في فهم أنه من خلال التفاعل والدراسة معا، طلابنا لا يصبحون مسلمين أقل أو مسيحيين أقل، بل تساعدهم معرفة إيمان الآخر وتقديره في أن يصبحوا أكثر درايةً وفخراً بعمق تقاليدهم الدينية.

أعتقد أن قادتنا، من خلال الصداقة والتفاعل مع بعضهم البعض، يمكنهم وينبغي عليهم أن يتبادلوا الخبرات ويشجعوا ويساعدوا بعضهم البعض في أن يكونوا أفضل قادة قدر الإمكان. تقاليدنا الإيمانية متباينة ومختلفة، ولكن صفات القائد الديني الجيد متشابهة جدا في تقاليدنا.